المجلد 6، العـدد 22 ص 24 - 44 (2025)، Volume 6, Issue 22

الرؤية التاريخية للمساجد والمدارس في عصر العز بن عبد السلام وبداية عصر المماليك و أثرها في النهضة العلمية

فتحية علي خليفة جابر

جامعة صبراته (ليبيا)

The historical vision of mosques and schools in the era of Al-Izz bin Abd Al-Salam and the beginning of the Mamluk era and their impact on the scientific renaissance

https://orcid.org/0009-0004-9333-6204

Sabratha University (Libya), fathiyahjabir@gmail.com

تاريخ الاستلام: 14 / 01 /2025 تاريخ القبول: 09 / 02 / 2025 تاريخ النشر: 01 / 06 / 2025

مقدمة:

إن المسجد في الإسلام لا تقتصر وظيفته على إقامة شعائر الصلوات التي فرضها الله على المسلمين، بل له - إلى جوار هذه الوظيفة الأساسية - وظائف أخرى، لعل أبرزها الوظيفة التعليمية؛ حيث كان المسجد في هذا العصر معهدًا من معاهد العلم وبيئة من بيئاته، بل لعله كان المعهد العلمي الوحيد قبل ظهور نظام المدرسة في القرن الرابع الهجري. وقد اشتُهر بمصر والشام في عصر شيخ الإسلام العز بن عبد السلام وبداية عصر المماليك طائفة من المساجد والجوامع، كان لها دور مهم في ازدهار الحركة العلمية ونموها، بوصف المسجد من أهم معاهد العلم والتعليم آنذاك.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

لعل في الأسطر السابقة ما يلقي بوميض كاشف عن أوجه من أهمية موضوع هذا البحث، إلا أن بالإمكان إجمال بعض أوجه أخرى من أهميته، على النحو الذي تقوم به أسبابًا حافزة إلى اختياره.. وذلك كما يلي:

- المكانة المشهودة للحافظ عز الدين ابن عبد السلام، والتي كان من بعض الحديث عنها قول الإمام الذهبي عنه: شيخ الإسلام، وبقية الأئمة الأعلام(1).كذلك طول فترة دولة المماليك في مصر والشام والحركة العلمية في أثنائها.

- الكشف عن دور المؤسسات العلمية المتمثلة في المساجد والمدارس في عصر العز ابن عبد السلام وبداية عصر المماليك.

- بيان الرؤية التاريخية لهذه المساجد والمدارس التي كان لها دور في النهضة العلمية في عصر العز ابن عبد السلام وبداية حكم المماليك.

- ما وقفت عليه بعد طول استقصاء؛ من افتقار المكتبة التاريخية إلى دراسة حول الرؤية التاريخية للمساجد والمدارس والتي كان لها أكبر الأثر في النهضة العلمية في عصر العز ابن عبد السلام وعصر المماليك.

أهداف البحث:

لئن كانت الأسطر السابقة كافية في الإلماح إلى بعض أهداف البحث التي يقصد إليها، فإن بالإمكان إبراز بعضها الآخر على وجيز العرض التالي:

- الكشف عن أسماء المساجد والمدارس التي كان لها الدور الأعظم في النهضة العلمية في بداية عصر المماليك خاصة في العصر الذي عاش فيه سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام.

- إبراز الأهمية الكبيرة للرؤية التاريخية لهذه المساجد والمدارس التي كان لها دور في النهضة العلمية في ذلك العصر.

- طموح الإضافة إلى المكتبة التاريخية والمكتبة الإسلامية عامة، ببحث في موضوع (الرؤية التاريخية للمساجد والمدارس في عصر العز بن عبد السلام وبداية عصر المماليك وأثرها في النهضة العلمية)، سدًّا لما يلمسه المستقرئ المستقصي من افتقارها إليه.

منهج البحث:

عمدت في المنهجية التي استعنت بها في إنجاز البحث على المزج بين أكثر من منهج علمي، لتدقيق الإحاطة بموضوع البحث وتفرعاته، وذلك على النحو التالي:

- سلكت المنهج الاستقرائي، حيث قمت بجمع المادة العلمية من كتب التاريخ خاصة الحقبة التي عاش فيها سلطان العلماء العز ابن عبد السلام، وكذلك بداية حكم المماليك.

- المنهج التحليلي: الوقوف على المادة العلمية وتحليلها تحليلًا علميًا بعرضها على كتب التاريخ وعلوم السنة للوصول إلى مدى التوافق بينها.

وقد راعيت في بحثي الأمور التالية:

- توثيق الأقوال الواردة في البحث، وتوثيق كل قول ورد في البحث.

-التعريف بأسماء المساجد والمدارس الواردة في البحث

- العناية بقواعد اللغة العربية، وقواعد الإملاء والخط وعلامات الترقيم.

المبحث الأول

التعريف اللغوي والاصطلاحي لمفهوم التاريخ

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للتاريخ:

تعريف التاريخ لغة واصطلاحًا:

تعريف التاريخ لغةً: قال في «المصباح»: أرخت الكتاب بالتثقيل، في الأشهر، والتخفيف لغة حكاها ابن القطاع، إذا جعلت له تاريخا، وهو معرَّب، وقيل: عربي، وهو: بيان انتهاء وقته، ويقال: ورخت على البدل، والتوريخ: قليل الاستعمال

اختلفوا في لفظ «التاريخ» هل هو عربي أو معرَّب؟:

قال صاحب «نور المقاييس» وهو مختصر كتاب «مقاييس اللغة» لابن فارس: «تأريخ الكتاب» ليس عربيا، ولا سمع من فصيح، وقال ابن فارس في «المجمل»: التواريخ والتاريخ، ما نحسبها عربية. وقال غيره: التاريخ لفظ معرب، أصله: ماه روز، وسبب تعريبه: أن أبا موسى كتب إلى عمر رضي الله عنهما ... فجمع عمر الصحابة، واستشارهم في ذلك، فقال الهرمزان: للعجم حساب يسمونه: ماه روز ينسبونه إلى ما غلب عليهم من الأكاسرة، فعربوه، وقالوا: مؤرخ، وجعلوا مصدره: التأريخ،

واستعملوه في وجوه التصريف، ثم بين لهم الهرمزان كيفية استعماله، فقال عمر رضي الله عنه: ضعوا تاريخا تتعاملون عليه.

وقال جماعة: هو عربى مشتق من الأَرخ، بفتح الهمزة وكسرها، وهو ولد البقرة الوحشية، إلا إذا كانت أنثى كانت ثنية، وقال جماعة: إن الأرْخ: البقرة التي لم يَنْزُ عليها الثيران، والعرب تشبه بها النساء الخَفِرات.

وقال ابن الجواليقي: يقال: إن الأرخ: الوقت، والتأريخ: التوقيت، قال ابن بريّ: لم يذهب أحد إلى هذا، وإنما قال ابن درستويه: اشتقاق الأرخ من بقر الوحش، واشتقاق التأريخ واحد؛ لأن القنا وقت من السن، والتأريخ وقت من الزمن(2).

تعريف التاريخ اصطلاحا:

هو: التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة، وحج، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمة، وتحديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد، وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسع فيه لبدء الخلق وقصص الأنبياء، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية، وأحوال القيامة ومقدماتها، أو دونها: كبناء جامع أو مدرسة، أو قنطرة، أو رصيف، أونحوها، مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد، أو خفى سماوى: كجراد، وكسوف، وخسوف، أو أرضى: كزلزلة، وحريق، وسيل، وطوفان، وقحط، وطاعون، وموتان، وغيرها من الآيات العظام، والعجائب الجسام(3).

المطلب الثاني: أهمية التاريخ:

تعددت فوائد وأهمية علم التاريخ عند المسلمين فقلما تجد حقبة أو دولة أو مدينة لم يؤرخ لها تاريخًا وقد عدد الحافظ السخاوي فوائده فذكر منها:

- التاريخ يعين على معرفة المتعاصرين من الناس، ويسهم في تحديد الصواب من الخطأ حال تشابه الأسماء والاشتراك فيها.

- التاريخ الموثق يُمكِّن من معرفة حقائق الأحداث والوقائع ومدى صدقها، كما حصل في كتاب أشاعه اليهود أن النبي ﷺ أسقط فيه الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة معاوية وسعد بن معاذ، وعند التحقيق والتدقيق يتبين لنا أن معاوية أسلم بعد الفتح، وسعد قد مات يوم بني قريظة، قبل خيبر بسنتين، وبهذا نعلم عدم مصداقية هذا الخبر.

- التاريخ يعين على معرفة تاريخ الرواة، من جهة وقت الطلب واللقاء، والرحلة في طلب العلم، والاختلاط والتغير، وسنة الوفاة، وحال الراوي من جهة الصدق والعدالة.

- التاريخ له أهمية في معرفة الناسخ والمنسوخ، إذ عن طريقه، ومن خلاله يعلم الخبر المتقدم من المتأخر.

- التاريخ تُعرف به الأحداث والوقائع وتاريخ وقوعها، وما صاحبها من تغيرات ومجريات.

- التاريخ يعين على معرفة حال الأمم والشعوب، من حيث القوة والضعف، والعلم والجهل، والنشاط والركود، ونحو ذلك من صفات الأمم وأحوالها.

- التاريخ الإسلامي صورة حية للواقع الذي طُبق فيه الإسلام، وبمعرفته نقف على الجوانب المشرقة في تاريخنا فنقتفي أثرها، ونقف أيضاً على الجوانب السلبية فيه فنحاول تجنبها والابتعاد عنها.

- التاريخ فيه عظات وعبر، وآيات ودلائل، قال تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾(4).

- التاريخ فيه استلهام للمستقبل على ضوء السنن الربانية الثابتة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحابي أحدا.

- التاريخ فيه شحذ للهمم، وبعث للروح من جديد، وتنافس في الخير والصلاح والعطاء.

- التاريخ يبرز القدوات الصالحة التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه، وتركت صفحات بيضاء ناصعة، لا تُنسى على مر الأيام والسنين.

- ومن أهم ما تفيده دراسة التاريخ معرفة أخطاء السابقين، والحذر من المزالق التي تم الوقوع فيها عبر التاريخ، أخذاً بالهدي النبوي فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين(5).

المبحث الثاني

الرؤية التاريخية للمساجد والمدارس

المطلب الأول: الرؤية التاريخية للمساجد و أثرها في النهضة العلمية في عصر العزابن عبد السلام:

جامع عمرو بن العاص:

تاريخ المسجد: يعتبر جامع عمرة بن العاص هو أول جامع أُنشئ بمصر، أنشأه الصحابي الجليل عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بعد الفتح، سنة 20 هجريًا، 641 ميلاديًا، ويقع بالفسطاط بحي مصر القديمة، وتم بناؤه بعد سنة واحدة من الفتح الإسلامي لمصر. ونظرًا لمكانته الرفيعة في نفوس المصريين أطلقوا عليه اسم «تاج الجوامع».

تعرض المسجد لحوادث جسيمة، كان من بينها الحريق الذي تعرض له في عهد الدولة الطولونية، إذ دمر أجزاء منه، من بينها الرواق الذي عليه اللوح الأخضر، فأمر خمارويه بن أحمد بن طولون بعمارته، فأعيد على ما كان عليه، وأنفق فيه 6400 دينار، وكُتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذي كان عليه اللوح الأخضر، وقد تعهده ولاة مصر وحكامها منذ إنشائه بالرعاية، فجدده الفاطميون وزادوا في مساحته، وحين احترقت الفسطاط وأصيب الجامع سنة «564هـ» إبان فتنة شاور وضرغام، أمر صلاح الدين - بعد أن انفرد بملك مصر - بتجديده، كما جدد أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون في عهد المماليك(6).

أما عن النشاط العلمي داخل هذا الجامع العتيق؛ فقد «كانت حلقات العلم تعقد بهذا الجامع في مختلف فروع الثقافة المعروفة، ويدلنا على كثرة هذه الحلقات ما رواه العلامة شمس الدين محمد بن الصائغ الحنفي، من أنه أدرك بجامع عمرو، قبل الوباء الذي حدث سنة «749»، بضعًا وأربعين حلقة، لإقراء العلم لا تكاد تبرح منه.

وكان بالجامع زوايا يدرس فيها الفقه، منها زاوية الإمام الشافعي، يقال: إن الشافعي - رضي الله عنه - درَّس بها، فعُرفت به، وقد وقف أرضًا عليها العزيز عثمان بن صلاح الدين، وكان يتولى تدريسها أعيان الفقهاء وجلة العلماء، ومنها الزاوية المجدية، رتبها مجد الدين الهنسي الشافعي وزير الأشرف موسى، وقرر في تدريسها قريبه قاضي القضاة: وجيه الدين عبد الوهاب الهنسي، وهو فقيه أصولي نحوي، ورتب لها عدة أوقاف بمصر والقاهرة، ويعد تدريسها من المناصب الجليلة، ومنها

الزاوية الصاحبية، رتبها الصاحب تاج الدين محمد بن بهاء الدين بن حنا، ووقف عليها، وجعل لها مدرسين أحدهما مالكي، والآخر شافعي»(7).

وممن درس بهذا الجامع من أعيان العلماء: عبد الكريم بن الحسن بن سوار «525هـ» أحد علماء القراءات والتفسير والنحو، والفقيه الأصولي محمد بن الحسين المحلي، والنحوي الشهير يحيى بن معطي الزواوي أول من وضع منظومة نحوية في ألف بيت(8).

وهكذا كانت الحركة الفكرية بجامع عمرو قوية نشيطة، حتى إنه يمكن الزعم بأن هذا الجامع كان من أهم مراكز التعليم والثقافة آنذاك.

وقد ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل خطابة جامع عمرو ابن العاص بمصر والقضاء بها وبالوجه القبلي مدة(9).

جامع أحمد بن طولون:

تاريخ المسجد: أسسه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية في مصر بعد بنائه مدينة القطائع. ويعتبر جامع أحمد بن طولون ثالث مسجد جامع بني في عاصمة مصر الإسلامية بعد جامع عمرو بن العاص.

قال السيوطي: «وكان ابتداء بنائه في سنة ثلاث وستين ومائتين، وفرغ منه سنة ست وستين ومائتين، وبلغت النفقة عليه في بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، وقيل: إنه قال: أريد أن أبني بناء إن احترقت مصر بقي، فقيل: يُبنى بالجير والرماد والآجُرّ الأحمر، ولا تجعل فيه أساطين رخام، فإنه لا صبر له على النار، فبنى هذا البناء، فلما كمل بناؤه أمر بأن يعمل دائرة منطقة عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين، وأشعر الناس بالصلاة فيه، فلم يجتمع فيه أحد، وظنوا أنه بناه من مال حرام، فخطب فيه، وحلف أنه ما بنى هذا المسجد بشيء من ماله، وإنما بناه بكنز ظفر به، وإن الشعار الذي نصبه على منارته وجده في الكنز.

فصلَّى الناس فيه، وسألوه أن يوسع قبلته، فذكر أن المهندسين اختلفوا في تحرير قبلته، فرأى في المنام النبي ﷺ، وهو يقول: يا أحمد، ابن قِبْلةَ هذا الجامع على هذا الموضع؛ وخط له في الأرض صورة ما يُعمل، فلما كان الفجر مضى مسرعًا إلى ذلك الموضع؛ فوجد صورة القبلة في الأرض مصورة، فبنى المحراب عليها، ولا يسعه أن يوسع فيه لأجل ذلك، فعظُم شأن الجامع، وسألوه أن يزيد فيه زيادة، فزاد فيه»(10).

وقد تعرَّض هذا الجامع لشيء من الإهمال، حتى إذا ولي سلطنة المماليك بمصر السلطان المنصور لاجين، أمر بتجديد عمارته ورتب فيه دروسًا فقهية على المذاهب الأربعة، ودرسًا للتفسير ودرسًا للحديث ودرسًا للقراءات ودرسًا للطب(11).

وقد لبث هذا المسجد منارة تشع نور المعرفة والعلم في مصر زمنا طويلا، وقد اتخذ المسجد طابعه العلمي منذ أول يوم أنشئ فيه إذ خطب فيه أبو يعقوب البلخي وأملى به الحديث الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي، وقد قرر به ابن طولون جماعة من العلماء والفقهاء وأجرى عليهم الرواتب والصدقات وقد بلغ ما ينفق من الرواتب والصدقات في اليوم الواحد ألفا ومائتا دينار وكان هناك» مارستان «ملحق بالمسجد لايواء المرضى والضعفاء(12)

الجامع الأزهر:

وهو أول مساجد القاهرة إنشاءً، أنشأه القائد الفاطمي الشهير جوهر الصقلي بأمر الخليفة المعز لدين الله، وفرغ من بنائه سنة «361هـ»، وكان الهدف من بنائه أن يكون مركزًا للفكر والعقيدة الشيعية بمصر، فكان الفقه فيه يدرس على مذهب الشيعة، وتقرأ فيه كتب هذا المذهب.

وبعد نجاح صلاح الدين في إسقاط الدولة الفاطمية بقطع الخطبة للعاضد الفاطمي، أُهمل أمر الأزهر وعطلت الخطبة منه؛ لصرف عناية الناس عنه بوصفه من أهم مراكز الفكر الشيعي في مصر، ومع ذلك فلم ينقطع التدريس به، وإن اتجه في هذه الفترة وجهةً سنية تلائم التطور المذهبي الذي حدث بمصر بعد سقوط الخلافة الفاطمية الشيعية، وقيام الدولة الأيوبية السنية.

وظل الجامع الأزهر يُعاني غير قليل من الإهمال، إلى أن سكن بجواره، الأمير عز الدين أيدمر الحلي، نائب السلطنة في عهد بيبرس، فانتزع كثيرًا من أوقاف الجامع كانت مغصوبة بيد جماعة، وتبرع له، وأصلحه، وأقام فيه منبرًا، وأذن القاضي الحنفي بإعادة الخطبة فيه، فأُعيدت يوم الجمعة «18» ربيع الثاني سنة «665هـ»، وعمل الأمير فيه مقصورة، رتب فيها مدرسًا، وجماعة من الفقهاء على مذهب الشافعي، ورتب محدثًا يسمع الحديث النبوي والرقائق، ورتّب سبعة لقراءة القرآن، ووقف على ذلك أوقافًا دارَّة تكفيه(13).

ومنذ ذلك التاريخ غدا الأزهر أهم مركز للثقافة الدينية السنية في مصر وأصبح معهدًا علميًّا يؤمه الناس من كل فج، ولقي من عناية الحكام الشيء الكثير.

والحق أن الدراسة في الأزهر الشريف لم تقتصر في ذلك العصر على الفقه أو العقيدة، بل كان يدرس به - بالإضافة إلى هذين العلمين - القراءاتُ والتفسير والحديث والمنطق والحساب والهيئة والطب واللغة والنحو والتاريخ(14).

الجامع الأقمر:

أنشئ هذا الجامع سنة «519هـ» في عهد الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله، على يد وزيره المأمون البطائحي(15)، وكان يدرس بهذا الجامع الفقه الشافعي وعلم النحو، ومن أشهر من درس به من العلماء: عماد الدين عثمان الكردي الفقيه الشافعي، وعثمان بن سعيد الصنهاجي وكان يدرس فقه الشافعية، وأحمد بن عثمان السنجاري، وكان يدرس النحو(16).

جامع العطارين بالإسكندرية:

كانت الإسكندرية أحد معاقل الفكر السني في مصر طوال عصر الفاطميين، وقد أُنشئت فيها أول مدرسة في تاريخ مصر الإسلامية، وكان يعيش بها علماء نابهون في فروع الثقافة المختلفة.

وقد أنشأ جامع العطارين الوزير الشهير بدر الجمالي سنة «477هـ»(17)، وكان منذ إنشائه معهدًا للعلم والتعليم والثقافة بمدينة الثغر، ومن أشهر العلماء الذين تداولوا التدريس بهذا الجامع: «عمر بن عيسى السوسي نحوي، أخذ عنه النحو أكثر أهل الإسكندرية، وكان يقرأ لهم فيه كتاب سيبويه، وتوفي سنة «498هـ»، ومنهم عبد الرحمن بن أبي بكر بن خلف شيخ الإسكندرية، الذي انتهت إليه رئاسة الإقراء فيها، ونبغ حتى قال فيه سليمان بن عبد العزيز الأندلسي: ما رأيت أحدًا أعلم بالقراءات منه؛ لا بالمشرق ولا بالمغرب. ومنهم محمد بن أحمد بن الخطاب شيخ الإسكندرية في الحديث، وتوفي سنة «525هـ».

أما أبو القاسم بن مخلوف فأحد كبار المالكية، الذين أذاعوا هذا المذهب في الإسكندرية، وكان لمحمد بن الحسن بن زرارة حلقة في الجامع لإقراء الأدب، وممن سجل لهم التاريخ تدريسهم بالجامع، العالم الأديب أحمد بن محمد بن المنير السكندري، أحد الأئمة المُتبحرين في التفسير والفقه المالكي والأصول والبلاغة والأنساب، كما كانت له اليد الطولى في علم الأدب، وله نظم ونثر».

أما جوامع الشام التي شاركت في نشر العلم والثقافة في عصر شيخ الإسلام العز بن عبد السلام فأشهرها: جامع دمشق، وجامع حلب.

أولاً: جامع دمشق:

أنشأه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك سنة «96هـ»، وقد وصفه ابن جبير إبَّان زيارته لدمشق بأنه «من أشهر جوامع الإسلام حسنًا وإتقان بناءٍ وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين»(18).

وقد شهد جامع دمشق حركة علمية ناشطة، سطر تاريخها طائفة من أفذاذ العلماء في القراءات والتفسير والحديث والفقه والعربية، ولعل أشهر هؤلاء: علم الدين السخاوي، والحافظ الكبير ابن عساكر، والحافظ عبد الغني المقدسي، وضياء الدين الدولعي، وعبد الله بن علي بن سعد القصري، ومحمود بن عبد الله أبو المثنى المراغي، وابن الحاجب وابن مالك... وغيرهم كثير(19).

ثانياً" جامع حلب:

كانت حلب من أهم المراكز العلمية في بلاد الشام عبر تاريخها الطويل، وإن أثرت الحروب الصليبية سلبًا على النشاط العلمي بها؛ حيث هجرها العلماء بسبب تهديد الصليبيين لها، ولكنها استردت مكانتها العلمية سريعًا حتى صارت كما وصفها ابن خلكان سنة «626هـ» مشحونة بالعلماء، واستعاد جامعها كذلك مكانته العلمية ودرس فيه النحو والقراءات والحديث واللغة(20).

ولكن هذه الحركة العلمية قد انطفأ مصباحها عندما سقطت حلب في يد التتار، فقد خربت ديارها وبادت معاهدها؛ لأنهم أحرقوا الجوامع والمساجد والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء، وأفسدوا إفسادًا كبيرًا، وظلت خرابًا زُهاء ثلث قرن، ثم بدأت العمارة تعود إليها سنة «690هـ»(21).

المطلب الثاني: الرؤية التاريخية للمدارس و أثرها في النهضة العلمية في عصر العز ابن عبد السلام:

ظهرت المدارس لأول مرة في العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري، فلم تكن معروفة في زمن الصحابة ولا التابعين، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور(22)؛ حيث بنيت بها المدرسة البيهقية، كما بنى بها الأمير نصر بن سبكتكين مدرسة، وبنى بها أخوه السلطان محمود بن سبكتكين مدرسة ثالثة(23).

على أن أشهر ما بني من مدارس في هذه الفترة هي المدرسة النظامية ببغداد، التي أنشأها الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك سنة «457هـ»، وزير السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، ودرس بها الفقيه الشافعي أبو إسحاق الشيرازي، صاحب كتاب التنبيه، وحجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي(24).

وكان إنشاء المدارس في هذا المحيط السني بهدف تأييد المذهب الأشعري الذي تبناه السلاجقة ولمواجهة الفكر الشيعي، وتضييق الخناق عليه(25).

والمقصود بالمدارس في هذا العصر: «تلك الدور المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم، وتدر عليهم فيها الأرزاق، ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء، يوسع عليهم في الرزق، ويختارون بحسب شروط الواقف، ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للقيام به، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف الإلهية والبشرية، وكانت هيئة المدارس في الجملة لا تختلف عن هيئة المساجد»(26).

وعلى الرغم من أن المدارس ابتكار سني، كان من بين غاياته - كما أشرنا - القضاء على الفكر الشيعي الإسماعيلي، فقد عرفت مصر المدارس منذ العصر الفاطمي؛ حيث تشير المصادر إلى مدرسة في الإسكندرية كان الإمام أبو بكر الطرطوشي يدرس بها الفقه المالكي، وفي سنة «532هـ» بنى الوزير السني رضوان بن ولخشي مدرسة بالإسكندرية لتدريس المذهب المالكي، وعهد بالتدريس فيها إلى الفقيه أبي الطاهر بن عوف، وأطلق على هذه المدرسة: المدرسة الحافظية؛ نسبة إلى الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، كما عرفت في المصادر أيضًا بـ«المدرسة العوفية»(27).

وبعد أربع عشرة سنة من إنشاء هذه المدرسة؛ أي في سنة «546هـ»، أنشأ وزير سني آخر - هو العادل بن السَّلار - مدرسة أخرى بالإسكندرية لتدريس الفقه على المذهب الشافعي، وقرر في تدريسها الحافظ أبا الطاهر أحمد بن محمد السلَفِي.

وفي ضوء ما تقدم: يظهر لنا خطأ الرأي القائل بأن مصر لم تعرف المدرسة إلا في عصر بني أيوب عن طريق الشام(28)، ومع ذلك فإن المدرسة كمؤسسة سنية رسمية لم تعرف في مصر على نطاق واسع إلا منذ أيام الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب(29)، على نحو ما سنعرف بعد قليل.

وكذلك فقد عرفت الشام المدارس منذ وقت مبكر؛ حيث أنشأ أتابك العسكر بدمشق أمين الدولة كستكين مدرسة للشافعية سنة «514هـ»، سماها: المدرسة الأمينية، وهي أول مدرسة للشافعية تُنشأ في بلاد الشام، فلما ظهر نور الدين محمود توسع في تشييد المدارس، واستدعى إلى التدريس بها نوابغ العلماء والفقهاء من الأقطار المختلفة(30).

وقد عُني السلطان صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه بإنشاء المدارس عناية فائقة؛ مستهدفين من وراء إنشائها أن تكون - قبل كل شيء - مراكز لإرساء قواعد المذهب السني واستئصال بقايا الفكر الشيعي من البلاد(31).

ومن المدارس الشهيرة التي أنشأها صلاح الدين في مصر: المدرسة الناصرية والمدرسة الصلاحية والمدرسة القمحية(32).

وأنشأ الملك العادل أخو صلاح الدين مدرسة للمالكية بمصر(33).

وكذلك أسهم أمراء الأسرة المالكة وأمراء الدولة إسهامًا طيبًا في تشييد المدارس؛ سواء بمصر أم بالشام، فبنى الأمير تقي الدين عمر مدرسة للشافعية عرفت بالمدرسة التقوية(34).

وبنى الأمير قطب الدين خسرو أحد أمراء صلاح الدين المدرسة القطبية بالقاهرة سنة «570هـ»، وخصصها للشافعية(35).

وبنى الأمير أيازكوج الأسدي المدرسة الأزكشية وجعلها للحنفية، وذلك سنة «592هـ»(36).

وأنشأ الأمير جمال الدين شونج بن صيرم أحد أمراء الملك الكامل المدرسة الصيرمية بالقاهرة(37).

وفي الشام أنشأ أسد الدين شيركوه بدمشق المدرسة الأسدية، وجعلها للشافعية والحنفية(38)،

ووقف الأمير مجاهد الدين أبو الفوارس الكردي «555هـ»، مدرستين بدمشق هما: المجاهدية الجوَّانية والمجاهدية البرانية، ودرس بهما عدد من كبار الفقهاء(39).

«ومن أمراء نور الدين بدرُ الدين المعروف بـ«لالا بن الداية»، أنشأ المدرسة البدرية بدمشق وجعلها للحنفية، والأمير جرديك النوري الذي أنشأ الجردكية سنة «601هـ» بحلب وجعلها للحنفية أيضًا، وبنى الأمير علم الدين سنجر المعظمي سنة «628هـ» المدرسة العلمية بدمشق للأحناف»(40).

وشارك نفر من وزراء الدولة الأيوبية كذلك في حركة بناء المدارس؛ ففي مصر أنشأ القاضي الفاضل سنة «580هـ» مدرسته الفاضلية، كما أنشأ الوزير الصاحب صفي الدين بن شكر وزير الملك العادل مدرسة للفقهاء المالكية، وذلك في سنة «618هـ»(41)، وأنشأ الأمير فخر الدين عثمان أستادار الملك الكامل مدرسة بالقاهرة سنة «622هـ» تعرف بالمدرسة الفخرية(42).

وفي دمشق بنى الأمير صارم الدين قايماز أستادار الناصر صلاح الدين مدرسة للحنفية تعرف بالقايمازية(43).

وأسهم العلماء والمدرسون كذلك في حركة تشييد المدارس، ووقفوا عليها من الأوقاف ما يكفي للإنفاق عليها إنفاقًا دائمًا متصلاً، فهذا الشيخ أحمد بن علي الإسنائي يبني مدرسة بقوص من صعيد مصر(44). كما أنشأ الشيخ محمد بن بشائر مدرسة للحديث(45).

وفي الشام بنى الشيخ شرف الإسلام عبد الوهاب أبو الفرج شيخ الحنابلة بدمشق المدرسة الشريفية، وخصصها للفقهاء الحنابلة، وذلك سنة «536هـ»(46).

وبنى الشيخ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي مدرسة أخرى للحنابلة بدمشق تعرف بالمدرسة الضيائية المحمدية(47).

«كما وقف إسماعيل بن حامد بن عبادة داره مدرسةً لطلبة الحديث بدمشق، وبنى عبد الله البادرائي المحدث ببغداد ومصر وحلب، ورسول المستعصم إلى الشام ومصر، مدرسة حسنة بدمشق، وقف عليها وقوفًا حسنة، وجعل بها خزانة كتب جيدة، وأنشأ وجيه الدين بن المنجي شيخ الحنابلة المدرسة الوجيهية بدمشق سنة «690هـ» لدراسة القرآن، وفي حلب بنى كمال الدين عمر بن العديم شرقي حلب، مدرسته الكمالية العديمية، لدراسة مذهب أبي حنيفة، وتم بناؤها سنة «649هـ».

ثم تابع المماليك سنة أسلافهم من الأيوبيين في إنشاء المدارس، وإن اقتصر أكثرها على القاهرة؛ وذلك إظهارًا لشعور التقوى والتدين من ناحية، وليتخذوا من المدرسة أداة تضمن بقاء الحكم في أيديهم وتساعدهم على دعم مركزهم في أعين الشعب من ناحية أخرى(48).

ومن أشهر المدارس التي أسسها سلاطين المماليك المدرسة الظاهرية؛ نسبة إلى الظاهر بيبرس الذي شرع في بنائها سنة «660هـ»، وفرغ منها سنة «662هـ»(49).

وهناك المدرسة المنصورية التي أسسها السلطان سيف الدين قلاوون، ورتب بها دروسًا في الفقه على المذاهب الأربعة، ودرسًا للحديث النبوي، ودرسًا للتفسير ودرسًا للطب(50).

ولم يكن الأمراء المماليك أقل حماسة من السلاطين لإنشاء المدارس، فأنشأ الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري مدرسة سنة «709هـ»، وقرر بها درسًا للشافعية، وتأنق في بنائها حتى جاءت كما يقول المقريزي: «في أحسن قالب وأبهج ترتيب، لما فيها من إتقان العمل وجودة الصناعة؛ بحيث إنه لم يقدر أحد على مُحاكاة ما فيها من صناعة الرخام»(51).

وكذلك أنشأ الأمير آقبغا عبد الواحد أستادار الملك الناصر محمد بن قلاوون مدرسة عرفت بالمدرسة الآقبغاوية وقرر بها درسًا للشافعية وآخر للحنفية(52).

ويضيق بنا المقام عن إيراد كل ما بناه أمراء المماليك من مدارس؛ حيث بلغت حدًّا هائلاً من الكثرة، وقد أورد المقريزي في خططه مدارس القاهرة، وهي تعطينا صورة واضحة عن النشاط الكبير الذي شهدته حركة تشييد المدارس في تلك الآونة(53).

وجرت العادة عند الفراغ من إنشاء مدرسة في العصر المملوكي أن يحتفل بافتتاحها احتفالاً كبيرًا يشهده السلطان والأمراء والفقهاء والقضاة والأعيان، ويمد سماط(54) فاخر في صحن المدرسة به ألوان الأطعمة والحلوى والفواكه، وبعد أن يخلع السلطان على كل من أسهم في بناء المدرسة من المعلمين والبنائين والمهندسين، يعين للمدرسة موظفيها من المدرسين والفقهاء والمؤذنين والقُرَّاء والفراشين وغيرهم(55).

وقد تنوعت المدارس في هذا العصر تنوعًا ملحوظًا؛ فكان منها مدارس لتدريس علم الحديث، خاصة في الفسطاط والإسكندرية وقوص، وفي دمشق وحلب، ومدارس لتدريس الفقه، أكثرها خصص لتدريس مذهب فقهي واحد من المذاهب الأربعة المعروفة، وكان أكثر المدارس الخاصة بمصر للشافعية ثم للحنفية فالمالكية، أما الشام فكان أكثرها للحنفية ثم للشافعية ثم الحنابلة فالمالكية، والظاهر كما يذكر أحد الباحثين أنه لم تنشأ بمصر مدرسة خاصة للحنابلة(56).

أما المدارس التي أنشئت من أجل تدريس المذاهب كلها فلم تظهر بغير القاهرة(57).

وعن معنى التخصص في هذه المدارس يقول د. أحمد بدوي: «وكان معنى التخصص في هذه المدارس أن المادة الأساسية فيها هي التي أنشئت المدرسة من أجلها، وليس ذلك بمانع من أن تدرس إلى جانبها مواد أخرى، فكانت المدرسة التي تنشأ للشافعية مثلًا يدرس فيها كثير من ألوان الثقافة الأخرى غير الفقه، كالقراءات والتفسير والحديث، وغيرها لتلاميذ شافعية وهكذا؛ ولعل منشئ هذه المدارس قد رغب أن يكون هناك انسجام بين الطلبة في المدرسة الواحدة، وفاته أن اختلاف الطلبة في المذاهب يكون مدعاة لاحتكاك الآراء، ومبعثًا لمناقشات تجلو الحقيقة وتوسع الأفق، وأغلب الظن أن معنى تخصص المدرسة في المذهب، كان يحمل المدرسين على أن يختاروا الكتب في أصول الفقه مثلًا وغيره لمؤلفين من مذهبهم، وفي ذلك - إذا صح - تضييق فكري لا شك فيه»(58).

وكانت وظيفة التدريس بالمدارس من أَجَلِّ الوظائف وأرفعها قدرًا في ذلك العصر؛ فكان السلطان يخلع على صاحبها ويكتب له توقيعًا من ديوان الإنشاء يختلف باختلاف المادة التي يدرسها. ويشتمل هذا التوقيع على نصح للمدرس بأن يظهر علمه للطلاب، وأن يقبل على الدرس طلق الوجه، منشرح الصدر؛ ليستميل إليه الطلبة، ويربيهم كما يربي الوالد أبناءه، ويحثهم دائمًا على المطالعة ومراجعة دروسهم(59).

وقد أشار الأدفوي إلى البرنامج اليومي لأحد المدرسين وهو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، حيث قال: «كانت أوقاته موزعة، يقوم الثلث الأخير من الليل، فإذا قارب طلوع الفجر حضر إلى المدرسة، وتوجه إلى أن يركع الفجر، ويصلي الصبح، ثم يُقرأُ عليه شيء من الإحياء وغيره من كتب الرقائق، إلى أن يسفر الوقت، ثم يعبر إلى بيته يطالع ويحضر المعيدون، ثم يخرج فيتكلم في الدرس زمانًا، ثم يقوم من يختار القيام، وتجلس الطلبة تقرأ عليه عربية وأصولًا وفرائض وجبرًا ومقابلة إلى وقت كبير، ثم يجلس للقضاء إلى قريب وقت الظهر، ثم يدخل بيته، ثم يخرج يصلي الظهر، ويسأل عن فتاوى، ثم يدخل، ويخرج العصر يجلس للقضاء، ثم يدخل بيته، ثم يخرج يصلي المغرب، ثم يدخل بيته، ثم يخرج يصلي العشاء، ويقرأ شيئًا من الرقائق، إلى الوقت الذي يريد»(60).

وقد حفظ لنا القلقشندي نسخة توقيع بوظيفة تدريس كُتِب به للقاضي عز الدين ابن قاضي القُضاة بدر الدين بن جَماعة، عوضًا عن والده، في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبعمائة، وهي: «الحمد لله مُتم فضله على كل أحد، ومُقر النعمة على كل والد وولد؛ الذي خص أولياءنا ببلوغ الغايات في أقرب المُدد، واستصحاب المعروف فما يُنزع منهم خاتم من يد إلا ليد.

نحمده بأفضل ما يحمده به من حمد، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باقية على الأبد؛ ونصلي على سيدنا محمد نبيه الذي جعل شريعته واضحة الجَدَد، قائمة بأعلام العلماء قيام الأمد؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين شبههم في الهدى بالنجوم وهم مثلها في كثرة العدد، وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد، فإن نعمنا الشريفة لا تتحول، وكرمنا يُمهد منازل السعود لكل بدر يتنقل؛ وشيمنا الشريفة ترعى الذمم لكل من أنفق عمره في ولائها، وتحفظ ما لها من المآثر القديمة بإبقائها في نجباء أبنائها؛ مع ما نلاحظه في استحقاق التقديم، وانتخاب من ترقى منهم بين العلم والتعليم؛ وحصل في الزمن القليل العلم الكثير، واستمد من نور والده وهو البدر المنير، وعلم بأنه في الفضائل سر أبيه الذي شاع، وخليفته الذي لو لم ينص عليه لما انعقد إلا عليه الإجماع، والواحد الذي ساد في رتبة أبيه وما خلت من مثله - لا أَخْلَى الله منه البقاع!

وكان المجلس السامي، القضائي، الفلاني، هو المراد بما قدمنا من صفاته الجميلة، وتوسمنا أنه لمعة البدر وهي لا تخفى لأنها لا تَرُدُّ العيون كليلة؛ ورأى والده المشار إليه من استحقاقه ما اقتضى أن ينوه بذكره، وينبه على المعرفة بحق قدره، فآثر النزول له عما باسمه من تدريس الزاوية بجامع مصر المحروسة ليقوم مقامه؛ ويقرر فوائده وينشر أعلامه، ويعلم أنه قد حلق في العلياء حتى لحق البدرَ وبلغ تمامه؛ فعلمنا أن البركة فيما أشار، وأن اليُمن - بحمد الله - فيما رجحه من الاختيار.

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف -زاد الله في شرفه، وجعل أقطار الأرض في تصرفه- أن يُرتب في هذا التدريس عوضًا عن والده - أطال الله بقاءه - على عادته وقاعدته إلى آخر وقتٍ؛ لأنه أحق من استحق قدره الرفيع التميز، وأولى بمصر ممن سواه لما عُرِفتْ به مصر من العزيز ثم من عبد العزيز.

ونحن نوصيك أيها العالم - وفقك الله - بالمداومة على ما أنت بصدده، والمذاكرة للعلم فإنك لا تُكاثِر العلماء إلا بمدده، والعمل بتقوى الله - تعالى - في كل قصد وتصدير، وتقريب وتقرير، وتأثيل وتأثير، وتقليل وتكثير، ونص وتأويل، وترتيب وترتيل، وفي كل ما تزداد به رفعتك، وتطير به سمعتك؛ ويحسن به الثناء على دينك المتين، ويقوم به الدليل على ما وضح من فضلك المبين.

واعلم بأنك قد أدركت - بحمد الله تعالى وبكرمنا وبأبيك وباستحقاقك - ما ارتد به كثير عن مقامك، ووصلت في البداية إلى المشيخة في زاوية إمامك؛ فاعمل في إفادة الطلبة بما يرفع الرافعي لك به الراية، ويأتم بك إمام الحرمين في النهاية، فقد

أمسيت جار البحر فاستخرج جُمانه، واجتهد لتُصيب في فتاويك فإن أوَّليك سهامٌ رميها من كنانه، وسبيل كل واقفٍ عليه العمل بمقتضاه والاعتماد»(61).

وكان طلبة المدارس يتمتعون بحرية اختيار المواد التي يدرسونها، وكثيرًا ما اعتمد اختيارهم على مكانة المدرس، وشهرته العلمية، وحسن معاملته للطلاب، فإذا أتم الطالب دراسته وأصبح أهلًا للإفتاء أو التدريس، أجازه شيخه بذلك، فكتب له إجازة يذكر فيها اسمه وشيخه ومذهبه وتاريخ الإجازة، وكانت قيمة هذه الإجازة مرتبطة بسمعة الشيخ الذي أصدرها وتميز مكانته العلمية في المجتمع(62).

وقد ضمنت الأوقاف للمدارس دخلًا ماليًّا ثابتًا أعانها على أداء رسالتها ودعم نظامها؛ حيث كان ينفق من ريع هذه الأوقاف على المدرسة ومن فيها من مدرسين وطلاب، وموظفين، وعمال(63).

نماذج من المدارس في عصر العز بن عبد السلام:

بقي أن نشير إلى طائفة من مدارس مصر والشام في ذلك العصر بشيء من التفصيل؛ لكي نقف على ما كان بها من ألوان النشاط الفكري، وسوف نكتفي بمدارس دمشق والقاهرة لأنهما المدينتان اللتان عاش في رحابهما الإمام العز بن عبد السلام.

فمن مدارس القاهرة:

المدرسة الناصرية:

وهي أول مدرسة تنشأ بمصر لأتباع المذهب السني في عهد الأيوبيين، أنشأها السلطان صلاح الدين بجوار جامع عمرو بن العاص سنة «565هـ» وكان وقت إنشائها وزيرًا للخليفة الفاطمي العاضد(64)، وقد خصصها لتدريس الفقه الشافعي؛ تمهيدًا لعودة مصر مرة ثانية إلى أحضان المذهب السني.

وممن ولي التدريس بهذه المدرسة الفقيه الشافعي الأصولي أمين الدين المظفر التبريزي.

المدرسة الصلاحية:

أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي بجوار قبة الإمام الشافعي وخصصها لتدريس المذهب الشافعي، وكان قد وكل أمر إنشائها إلى نجم الدين الخبوشاني، فنهض ببناء مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، ويخيل لمن كان يطوف بها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمام وغيره من مرافقها، فكانت أشبه بمدينة جامعية، ولم يضن عليها صلاح الدين بمال، بل كان يقول لنجم الدين: زد احتفالًا وتأنقًا، وعلينا القيام بمئونة ذلك كله. ووقف عليها حمامًا بجوارها، وفرنًا تجاهها، وحوانيت بظاهرها، والجزيرة التي كانت تسمى جزيرة الفيل بالنيل خارج القاهرة، ولعلها بعد أن تم بناؤها سنة «572هـ»، أصبحت أعظم مدرسة في العالم الإسلامي كله؛ فكانت لذلك تدعى: تاج المدارس.

ويدلنا على ما لهذه المدرسة من القدر أن جماعة من أعيان العلماء قد تولوا التدريس فيها، نذكر من بينهم شيخها الأول نجم الدين الخبوشاني، وسيف الدين الآمدي، وقاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز(65).

وكانت هيئة التدريس بهذه المدرسة تتكون من مدرس واحد وعشرة معيدين، وقد مرت بها فترة اكتفي فيها بالمعيدين وخلت من مدرس(66).

المدرسة القمحية:

أنشأها السلطان صلاح الدين سنة «566هـ» بجوار جامع عمرو بن العاص وخصصها لتدريس المذهب المالكي، وكان من جملة أوقافه عليها ضيعة بالفيوم تغل قمحًا يفرق على المدرسين والطلبة، فعرفت من أجل ذلك بالقمحية.

وكان بهذه المدرسة أربعة من المدرسين، لكل مدرس منهم جماعة من الطلبة(67)، وقد درس بها طائفة من أعيان المالكية؛ مثل: عبد الله بن نجم بن شاس، والحسين بن عتيق بن الحسين شيخ المالكية في وقته.

المدرسة السيوفية:

أنشأها السلطان صلاح الدين سنة «572هـ»، وجعلها لتدريس الفقه الحنفي وأصلها دار الوزير الفاطمي المأمون البطائحي، وعرفت بهذا الاسم؛ لأن سوق السيوفية آنذاك كان على بابها، ووقف صلاح الدين على هذه المدرسة بعض الأوقاف وقرر في تدريسها ونظر وقفها محمد بن محمد الجبتي، ورتب له في الشهر أحد عشر دينارًا، على أن يخصص بقية ريع الوقف للإنفاق على الطلبة ومصالح المدرسة(68)، ومن أعيان مدرسي هذه المدرسة الشيخ علي بن محمد الغزنوي «633هـ».

المدرسة الصالحية:

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة «641هـ» على أنقاض القصر الفاطمي الكبير، وقد جعلها للمذاهب الفقهية الأربعة، وهي أول مدرسة تنشأ بمصر للمذاهب الأربعة معًا، وقد وقف عليها بعض الأوقاف ثم أضاف إليها الملك السعيد ابن الظاهر بيبرس أوقافًا أخرى، وكان بها مساكن للطلبة(69).

وفوض تدريس الشافعية بها إلى الشيخ عز الدين فباشره وتصدى لنفع الناس بعلومه(70).

دار الحديث الكاملية:

أنشأ السلطان نور الدين محمود أول مدرسة للحديث في العالم الإسلامي بدمشق. أما دار الحديث الكاملية فتعد ثاني مدرسة تخصص لعلم الحديث، وليس بمصر دار للحديث غيرها، أنشأها بين القصرين السلطان الملك الكامل محمد بن العادل سنة إحدى وعشرين وستمائة، ووقفها على المشتغلين بعلم الحديث، وألحق بها مساكن للطلبة والمدرسين، فضلًا عن خزانة للكتب يليها أحد العلماء، وقد ولي مشيخة هذه الدار طائفة من كبار العلماء مثل: الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، وقطب الدين القسطلاني الشافعي وابن دقيق العيد(71).

أما مدارس دمشق في ذلك العصر: فتربو على تسعين مدرسة، منها أكثر من ثلاثين مدرسة للحنفية، وثلاثون للشافعية، وثمان للحنابلة، وثنتان للمالكية، ومثلهما للشافعية والحنفية، وثمان للحديث وأربع للطب.

وليس يخفى ما تدل عليه هذه المدارس الكثيرة من نشاط الحركة العلمية وازدهار الحياة الثقافية في دمشق آنذاك؛ حيث كانت تُعد من أهم مراكز العِلم في العالم الإسلامي كله(72).

ومن نماذج هذه المدارس بدمشق:

المدرسة النورية الكبرى:

أنشأ هذه المدرسة بدمشق للحنفية الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة «563هـ»، وقيل: بل أنشأها ابنه الصالح إسماعيل.

ومن أشهر من ولي مشيخة هذه المدرسة من علماء الحنفية: الشيخ جمال الدين الحصيري، وقد حضر الملك المعظم عيسى درسًا من الدروس التي كان يلقيها(73).

وقد زار الرحالة الكبير ابن جبير هذه المدرسة، وأعجب بها أيما إعجاب؛ حيث وصفها قائلًا: «ومن أحسن مدارس الدنيا منظرًا، مدرسة نور الدين رحمه الله، وبها قبره نوره الله، وهي قصر من القصور الأنيقة...»(74).

المدرسة الأمينية:

وهي أول مدرسة للشافعية تنشأ بدمشق، أنشأها أتابك العساكر المُلقب بأمين الدولة، وذلك سنة «514هـ»، وممن ولي التدريس بها: قطب الدين النيسابوري الفقيه الشافعي الأصولي(75).

المدرسة التقوية:

وكانت معدودة من مدارس دمشق الكبرى، حتى إنها كانت تسمى: نظامية الشام تشبيهًا لها بالمدرسة النظامية في بغداد، بناها الأمير تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين، ومن أشهر من درَّس بها فخر الدين بن عساكر الذي انتهت إليه رياسة الشافعية بالشام، وكان من تلامذته عز الدين ابن عبد السلام(76).

المدرسة العادلية الكبرى:

شرع في بنائها بدمشق سنة «568هـ» السلطان نور الدين محمود، غير أنه توفي قبل إكمالها، وكذلك أراد الملك العادل إكمالها فوافاه الأجل قبل إتمامها، فلما ولي المعظم عيسى دمشق، أراد أن يُكمل عمل أبيه، ونجح في ذلك فكانت من أعظم مدارس دمشق التي خصصت لتدريس فقه الشافعية(77)، وقد فوض المعظم أمر التدريس بها، إلى قاضي قضاته جمال الدين يونس بن بدران.

المدرسة الصلاحية:

وهي من مدارس المالكية بمدينة دمشق، أنشأها السلطان صلاح الدين يوسف الأيوبي بالقرب من البيمارستان النوري، ومن أشهر من ولي التدريس بها ابن الحاجب، وعبد السلام الزواوي قاضي قضاة المالكية(78).

المدرسة الشريفية:

أنشأها لطائفة الحنابلة ووقفها عليهم، الشيخ شرف الإسلام عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الأنصاري، الفقيه الواعظ، شيخ الحنابلة بالشام(79).

دار الحديث النورية:

وهي كما تقدمت الإشارة أول دار تنشأ للحديث في بلاد الشام، أنشأها السلطان نور الدين محمود بن زنكي، ووقف على شيوخها وطُلاب الحديث بها أوقافًا كثيرة، وممن تولى مشيختها من كبار المحدثين أبو القاسم ابن عساكر.

وقد مدحها أحد شعراء دمشق بقوله:

ومدرسة سيَدْرُسُ كلُّ شيء	وتبقى في حمى علم ونسك
تضَوَّعَ ذكرُها شرقًا وغربًا	بنور الدين محمود بن زنكي
يقول وقولُه صدقٌ وحقٌ	بغير كناية وبغير شك(80)

عناية السلاطين والولاة بإنشاء المدارس:

حرص سلاطين المماليك وولاتهم على إنشاء المدارس حتى كثرت وعمت ربوع البلاد، وكانت هذه المدارس مركزًا لجميع الدراسات الإسلامية والعربية، بل والعلوم الأخرى من طب وكيمياء وهندسة وغيرها.

وصارت مصر في عصر المماليك حاضرة العالم الإسلامي، بعد أن قضى المغول على الخلافة العباسية في بغداد، وبعد تدهور أحوال الأندلس بسبب هجمات الإسبان المتتالية عليها؛ ومن ثَم كان لزامًا على مصر أن تحمل راية الفكر والعلم؛ وقد نهضت مصر بذلك، وحاول سلاطين المماليك أن يجعلوا منها بيئة صالحة لاستقبال العلماء الذين هاجروا إليها من كل حدب وصوب، فوجدوا فيها البيئة الصالحة لممارسة نشاطهم العلمي(81).

وقد تمثلت مظاهر هذه الحركة العلمية النشطة في مصر في العصر المملوكي - فيما يلي:

انتشار المدارس:

انتشرت المدارس في العصر المملوكي بصورة لافتة للنظر؛ «حتى أصبحت لا تخلو مدينة، أو قرية كبيرة من مدرسة ترسل الشرر العلمي والأدبي إلى كل ما يحيط بها؛ مما هيأ للديار المصرية والشامية نهضة ثقافية مُحققة»(82).

فقد اتجهت عناية سلاطين المماليك إلى إنشاء المدارس؛ كما اعتنوا في الوقت نفسه بالمدارس التي أنشأها من سبقهم، وبذلك برزت في هذا العصرِ العديدُ من المدارس التي كان لها دور ملحوظ في إثراء الحياة العلمية، وكان من أبرز هذه المدارس على سبيل المثال:

1- المدرسة الصالحية:

أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة (639هـ) تسع وثلاثين وستمائة، وتتكون من أربع مدارس؛ واحدة لكل مذهب من المذاهب الأربعة، وقد اهتم بها في العصر المملوكي الملك سعد الدين ناصر الدين محمد بركة خان بن الظاهر بيبرس، والأمير جمال الدين أقوش، ووقف عليها أوقافًا(83).

2- المدرسة المعزية:

أنشأها السلطان عز الدين أيبك أول ملوك الدولة البحرية، وكان ذلك في سنة (654هـ) أربع وخمسين وستمائة، وتوجد بمدينة إسنا بأقصى الصعيد على شاطئ النيل من الجانب الغربي.

وهي إحدى المدارس التي تولى التدريس فيها الشيخ نجم الدين القمولي -رحمه الله تعالى(84).

3- المدرسة الصاحبية البهائية:

أنشأها الوزير الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم سنة 654هـ «أربع وخمسين وستمائة بزقاق القناديل قرب جامع عمرو بن العاص بمصر» وقد وقف عليها عدة أوقاف، وخصص لها خزانة كتب ثمينة، وكان زقاق القناديل إذ ذاك أكثر أحياء مصر عمرانا وسكانًا، وكان يسكنه الأشراف ويعلقون القناديل على أبواب منازلهم؛ ولذلك كانت هذه المدرسة من أعظم مدارس مصر وأشهرها.

وفي هذا يقول المقريزي: «وكانت -يعني: المدرسة الصاحبية البهائية- أجل مدارس الدنيا، وأعظم مدرسة بمصر، يتنافس الناس من طلبة العلم في النزول إليها، ويتشاحنون في سكنى بيوتها»(85).

4- المدرسة الظاهرية:

أنشأها الظاهر بيبرس البندقداري، وقد شرع في بنائها سنة (661هـ) إحدى وستين وستمائة، وتم بناؤها سنة (662هـ) «اثنتين وستين وستمائة»، وجعل لها أربعة إيوانات، وجعل بها خزانة كتب تشتمل على أمهات الكتب في سائر العلوم، وبنى بجانبها مكتبًا لتعليم أبناء المسلمين كتاب الله تعالى، وأجرى لهم الجرايات والكسوة، وكان يدرِّس فيها الفقه على المذهبين الحنفي والشافعي، والحديث والقراءات بالروايات المختلفة، وقد أوقف عليها أوقافًا كثيرة»(86).

5- المدرسة المنصورية:

أنشأها المنصور قلاوون سنة (682هـ) اثنتين وثمانين وستمائة، ودفن هو وبعض أبنائه فيها، وقد رتب لهذه المدرسة دروس الفقه على المذاهب الأربعة، ولها أوقاف كثيرة(87).

6- المدرسة المنكوتمرية:

بناها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي - نائب السلطنة في عهد السلطان لاجين المنصوري - بجوار داره بحارة بهاء الدين بالقاهرة، سنة (698هـ) ثمان وتسعين وستمائة، ورتب بها دروس المالكية والحنفية، وزودت بخزائن الكتب النفيسة، وأوقفت عليها أوقاف ببلاد الشام.

7- المدرسة الناصرية:

ابتدأها العادل كتبغا، وأتمها الناصر بن قلاوون سنة (703هـ) ثلاث وسبعمائة. قال المقريزي: «أدركت هذه المدرسة، وهي محترمة للغاية»(88).

ولم يقتصر المماليك في إنشاء المدارس أو دور التعليم على المدن الكبرى والعاصمة فحسب، بل أنشئوا كثيرًا منها في المدن المصرية الأخرى.

يدل لذلك قول ابن دقماق في كتابه «الانتصار» - مُبينًا أسماء المدن المصرية التي تم إنشاء المدارس فيها غير العاصمة: «كان في منية بني خصيب مدارس للشافعية، وفي منفلوط عدة مدارس، وفي أسيوط عدة مدارس، وفي أبي تيج عدة مدارس، وفي سوهاج عدة مدارس، وفي قوص ستة عشر مكانًا للتدريس، وفي إسنا مدرستان، وفي أسوان ثلاث مدارس، وفي دمياط عدة مدارس، وفي المحلة عدة مدارس، وفي دمنهور عدة مدارس، وفي رشيد كُتاب للأبناء»(89).

وإذا أضيف إلى هذه المدارس ما بني من الزوايا والربط والخوانق الصوفية؛ ظهر أن هناك عددًا كبيرًا من المعاهد التعليمية المختلفة التي وجدت في العصر المملوكي.

وقد عُني السلاطين والأمراء بهذه المدارس عناية فائقة؛ لأنهم يعرفون أن مجدهم فيها(90).

وهكذا كان المماليك يهتمون بإنشاء المدارس للحفاظ على العلم وقد بلغ ما بناه المماليك نحو خمس وأربعين مدرسة، وكان الطلاب الذين يدرسون في هذه المدارس يأتون من كل حدب وصوب من البلاد النائية؛ وهذا لتوفر الأموال التي تشجعهم على ذلك، وكان الأمراء يغدقون عليهم، وفتحت الدولةُ صدرها للطلاب، فهيأت لهم المساكن التي تجعل وقتهم مقصورًا على الاطلاع والبحث والمذاكرة، ووفرت لهم الشيوخ والمدرسين الماهرين والمُتبحرين في العلم، فتخرج على أيديهم العلماء والمفكرون والواعظون(91).

خاتمة:

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين محمد ﷺ أما بعد: فهذه أهم النتائج، والتوصيات التي توصلت إليها:

أولًا: النتائج:

- تميزت الفترة التي تكلمنا عنها في البحث بنشاط الحركة العلمية على مستوى الجوامع والمدارس.

- لم يقتصر هذا النشاط العلمي ببلدة دون أخري فكما كان هناك حركة علمية بمصر كان هناك ما يوازيها بالشام.

- كثرة الجوامع والمساجد التي كان لها الأثر الأهم في نشاط الحركة العلمية.

- أن الكثير من هذه الجوامع والمدارس كان لها أصولًا تاريخية قبل الفترة المتكلم عنها فمنها ما أنشئ عند فتح مصر ومنها ما أنشئ في الدولة الطولونية والفاطمية، مما كان له الأثر في استمرار النشاط العلمي في هذه الفترة.

ثانيًا: التوصيات:

توصي الباحثة المتخصصين في علو التاريخ بدراسة الفترات التاريخية المختلفة والحركة العلمية فيها والأدوار التي قامت بها الجوامع والمدارس في هذا النشاط.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر:

اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، تحقيق: د. جمال الدين الشيال، وزارة الأوقاف، مصر، ط2، 1416هـ- 1996م.

الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، الرياض، السعودية، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق، المطبعة الأميرية ببولاق، 1309هـ.

بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس، طبع بمصر، 1311هـ.

تاج العروس من جواهر القاموس «شرح القاموس»، للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، حكومة الكويت، 1408هـ - 1987م.

تاريخ الإسلام، للذهبي، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ - 1987م.

تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، د. جمال الدين الشيال، دار المعارف.

تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(1)، 1396هـ - 1976م.

حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط (1)، 1387هـ - 1967م.

الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، الفجالة مكتبة نهضة مصر، د.ت.

خطط المقريزي المسمّى بـ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، إصدار: دار التحرير للطبع والنشر، بولاق، 1270هـ.

الدارس في تاريخ المدارس، لعبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ.

الدولة الأيوبية في مصر، د. عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي،1418 هـ-1997م.

الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مكتبة الاسرة، 2007م.

السلوك لمعرفة دول الملوك، لأحمد بن علي تقي الدين المقريزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م.

صبح الأعشى، لأبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، 1418م.

صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1993م.

صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1400هـ-1980م.

الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، لكمال الدين الأدفوي، الدار المصرية للتأليف والنشر، 1382هـ.

طبقات الشافعية الكبرى، لعبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحى، د. عبد الفتاح محمد الحلو، دار هجر، القاهرة، ط (2)، 1413هـ - 1992م.

طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط (1)، 1407 هـ - 1987م.

العصر المماليكي في مصر والشام، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، 1994م.

عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، د. محمود رزق سليم، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، 1381هـ - 1962م.

لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت.

مجلة «المجلة»، مقال للدكتور. شوقي ضيف، عدد (122)، فبراير 1967م.
مجمل اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق الشيخ: هادي حسن حمودي، معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط (1)، 1985م.
المحيط في اللغة، لإسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط (1)، 1414هـ-1994م.
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين، دار الجيل، بيروت، ط (1)، 1412هـ.
المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المطبعة الأميرية، مصر، ط2، 1909م.
مصر في عصر دولة المماليك، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة النهضة المصرية، 1959م.
النجوم الزاهرة في تاريخ مصر والقاهرة، لابن تغري بردي، المؤسسة المصرية العامة، (د.ط)، (د.ت).

الهوامش:

(1) تاريخ الإسلام (993/14).
(2) ينظر: المصباح المنير (11/1)، لسان العرب (58/1)، تهذيب اللغة (544/1)، مجمل اللغة (185/1)، المحيط في اللغة (406/1)، تاج العروس (227/7)، التكملة والذيل والصلة (130/2)، الإعلان والتوبيخ، ص (14).
(3) ينظر: الإعلان والتوبيخ، ص (17).
(4) سورة الأنعام آية: 11.
(5) ينظر: الإعلان بالتوبيخ (111-119)، والحديث أخرجه البخاري (529/10) كتاب الأدب، باب: لا يلدغ المؤمن، الحديث (6133)، ومسلم (2295/4) كتاب الزهد، باب: لا يلدغ المؤمن، الحديث (2998/63).
(6) ينظر: الخطط، للمقريزي (251/2، 252)، حسن المحاضرة، للسيوطي (213/2- 218).
(7) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (12، 13).
(8) ينظر: السابق، ص (13).
(9) طبقات الشافعية الكبرى (210/8).
(10) ينظر: حسن المحاضرة (218/2).
(11) ينظر: الخطط (265/2 - 269)، حسن المحاضرة (220/2).
(12) ينظر: بدائع الزهور (٣٨/١).
(13) ينظر: السلوك، للمقريزي (556/1)، حسن المحاضرة (222/2).
(14) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (16، 17).
(15) ينظر: النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (173/5).
(16) ينظر: الخطط، للمقريزي (290/2 - 293).
(17) ينظر: النجوم الزاهرة (119/5).
(18) ينظر: رحلة ابن جبير.
(19) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (24، 25).
(20) ينظر: السابق (25).
(21) ينظر: السلوك، للمقريزي (422/1).

(22) وهي: مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة، تخرج فيها جماعة من العلماء بينها وبين مروالشاهجان ثلاثون فرسخًا، فتحها المسلمون في أيام عثمان بن عفان، على يد عبد الله بن عامر، وبنى بها مسجدًا. وقيل فتحها الأحنف بن قيس في أيام عمر، وانتقضت ففتحها عبد الله بن عامر ثانيًا صُلحًا. ينظر: مراصد الاطلاع (1411/3).

(23) ينظر: الخطط، للمقريزي (363/2).

(24) ينظر: السابق.

(25) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (591).

(26) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (30).

(27) ينظر: تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، د. جمال الدين الشيال، ص (45، 46).

(28) ينظر: الخطط، للمقريزي (363/2).

(29) ينظر: الدولة الفاطمية، د. أيمن فؤاد سيد، ص (592، 593).

(30) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي, ص (30).

(31) ينظر: الدولة الأيوبية في مصر، د. عبد المنعم ماجد, ص (83، 84).

(32) ينظر: الخطط، للمقريزي (364/363/2).

(33) ينظر: السابق (365/2).

(34) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (162/1).

(35) ينظر: الخطط، للمقريزي (365/2).

(36) ينظر: السابق (367/2).

(37) ينظر: السابق (378/2).

(38) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (114/1).

(39) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (343/1، 347).

(40) ينظر: السابق (365/1 - 430).

(41) ينظر: الخطط، للمقريزي (371/2).

(42) ينظر: السابق (367/2).

(43) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (439/1).

(44) ينظر: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، للأدفوي ص (102).

(45) ينظر: السابق ص (504).

(46) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (36).

(47) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (77/2).

(48) ينظر: العصر المماليكي في مصر والشام، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص (339).

(49) ينظر: الخطط، للمقريزي (378/2).

(50) ينظر: السابق (379/2، 380).

(51) ينظر: السابق (383/2).

(52) ينظر: الخطط، للمقريزي (383/2، 384).

(53) ينظر: السابق (386/2- 405).

(54) السماط: المائدة السلطانية أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين. ينظر: مصطلحات صبح الأعشى، ص (185).

(55) ينظر: العصر المماليكي في مصر والشام، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص (340).

(56) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (40، 41).

(57) ينظر: السابق.

(58) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي، ص (40، 41).
(59) ينظر: صبح الأعشى (246/11، 247).
(60) ينظر: الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، للأدفوي ص (692) وما بعدها.
(61) ينظر: صبح الأعشى (227/11 - 229).
(62) ينظر: العصر المماليكي في مصر والشام، د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص (341).
(63) ينظر: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، د. محمد محمد أمين ص (232)، وما بعدها.
(64) ينظر: اتعاظ الحنفا، للمقريزي (319/3).
(65) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي (224/2 - 226).
(66) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي ص (44).
(67) ينظر: الخطط للمقريزي (364/2).
(68) ينظر: السابق (365/2، 366).
(69) ينظر: الخطط للمقريزي (374/2)، حسن المحاضرة للسيوطي (228/2).
(70) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (211/8)
(71) ينظر: حسن المحاضرة للسيوطي (227/2، 228).
(72) ينظر: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، د. أحمد أحمد بدوي ص (60، 61).
(73) ينظر: رحلة ابن جبير.
(74) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي (466/1).
(75) ينظر: السابق (132/1).
(76) ينظر: السابق (162/1).
(77) ينظر: السابق (271/1).
(78) ينظر: الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي (8/2).
(79) ينظر: السابق (50/2).
(80) ينظر: السابق (74/1).
(81) ينظر: مصر في عصر دولة المماليك، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، ص (189).
(82) ينظر: مجلة «المجلة»، مقال للدكتور. شوقي ضيف، عدد (122)، فبراير 1967م.
(83) ينظر: الخطط (333/3)، وحسن المحاضرة (228/2).
(84) ينظر: طبقات ابن قاضي شهبة (204/2)، والدارس في تاريخ المدارس (216/1)، وخطط المقريزي (137/1).
(85) ينظر: الخطط (328/3)، وعصر سلاطين المماليك (43/3).
(86) ينظر: حسن المحاضرة (228/2)، والخطط (378/2).
(87) ينظر: الخطط (342/3).
(88) ينظر: السابق (346/3)، وحسن المحاضرة (229/2).
(89) ينظر: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، لابن دقماق (35/2/5).
(90) ينظر: الخطط للمقريزي (314/3).
(91) ينظر: الأدب في العصر المملوكي، ص (43، 44).